موقف علماء الامامية
من تراث المحدث النوري

م. م حيدر كريم لهمود الشويلي

الملـخّـص

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علىٰ حبيب اله العالمين محمد وعلىٰ آله الطاهرين .

وبعد فإن لتراث العلامة النوري أثر كبير في بناء المنظومة الدينية الشيعية، وتأسيس الفكر الشيعي، وللعلامة النوري قدس سره مكانة مرموقة في أوساط المذهب الشيعي، ولكن بعد أن قام بتأليف كتابه (فصل الخطاب في تحريف كتاب رب الأرباب) حتىٰ تغير الأمر، فقد رده الكثير من العلماء والفت الكتب والرسائل في الرد عليه ولكن هذا الرد انتقل من كتاب (فصل الخطاب) الىٰ سائر تراث المؤلف .

وقد بينت في هذا البحث موقف علماء الأمامية من هذا التراث الزاخر، وإنهم انقسموا في قبول تراثه ورده الىٰ ثلاثة اتجاهات متناقضة، وقد بينت الرأي المختار والأنسب في المقام وأسأل من الله التوفيق والسداد .

Summary

Praise be to god, Lord of the worlds, and bleesings and peace be upon the beloved of the god of the words Muhammed and upon his pure family.

And yet the scholar's al_nuri's heritage has a great impact on building the shi'ite religious system and establishing the shi'ite thought.

The al_ nuri scholar has a prominent place among the shi'ite sect, but after he wrote his book (chapter of discourse on distorting the book of Lord of Lords) until the matter changed, many rejected it. Some scholars wrote books and letters in response to him, but this response moved from the book (fasl_al_khattab) to the author's rest of the heritage.

I have shown this research the position of the front scholars on this abundant heritage, and that they were divided in accepting its heritage and returning it into three contradictory directions.

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله الأول بلا أول كان قبله والآخر بلا أخر يكون بعده، خلق الليالي والأيام، وجعل بينهما الأقسام فتبارك الله الملك العلام، والصلاة والسلام علىٰ الرسول المؤيد، والحبيب المسدد أبي القاسم محمد وعلىٰ آله الطيبين الطاهرين.

وبعد يعتبر العلامة الميرزا حسين النوري من المع مصنفي الامامية في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين فقد الف تأليفات رائعة، وصنف تصنيفات فائقة، جعلته مما يشار اليه بالبنان، وقد بلغ عدد مصنفاته ما يقارب الثلاثين، أو ما ينوف عنها بقليل، وكل واحد منها يخبرك عن طول باعه وكثرة اطلاعه، وسنشير اليها في ثنايا هذا البحث.

لقد بقيت للعلامة النوري ومؤلفاته تلك المكانة المرموقة حتىٰ الف كتابه (فصل الخطاب في تحريف كتاب رب الأرباب) عام (١٢٩٢م) وقد طبع سنة (١٢٩٨م) فالعلامة النوري لم يكن في الحقيقة شخصا طارئا علىٰ تراث المذهب الشيعي، وإنما كان عالما متتبعا محققا مدققا يشار اليه بالبنان وأمره في التحقيق والتدقيق لا يشق له غبار، ولا يزال كل فقهاء وعلماء الامامية ينتفعون من فيوضات موائده سواء الحديثية أو الرجالية منها، لقد واجه العلامة النوري ما واجه ليس لشيء وإنما بسبب وضوحه وصراحته الزائدة وتحرزه عن الكذب الذي أخذ البعض يتفنن به بحجة التقية وغيرها ولهذا واجه من هذه الحياة ما واجه، بل

استمرت ظلامته حتىٰ بعد وفاته بسبب قوله ما يؤمن به وما يعتقده .

في أحد الإيام وتحديدا في آخر أيام حياته الكريمة يهمس العلامة النوري في أذن المقرب صاحب كتاب (الذريعة الىٰ تصانيف الشيعة) العلامة (آقا بزركَ الطهراني) قائلا: «اني اموت وفي قلبي حسرة وهي اني ما رأيت احدا آخر عمري يقول لي يا فلان خذ هذا المال فاصرفه في قلمك وقرطاسك او اشتر به كتابا او اعطه لكاتب يعنيك علىٰ عملك»[١].

يقول تلميذه الطهراني تعليقا علىٰ هذه الحسرة من استاذه: «كثيرون اولئك الذين يقضون وفي قلوبهم مثل هذه الحسرة من رجال هذا الفن لكن ذلك لا يؤدي بهم الىٰ ترك العمل أو الفتور عنه وكم حسرات في نفوس كرام» [٢].

ولهذا فقد كان لعلماء الامامية موقفا تجاه العلامة النوري ومؤلفاته وهذا ما سنبينه في هذا البحث وقد ارتئيت تقسيم البحث الىٰ مبحثين:

المبحث الأول: حياة العلامة النوري الشخصية .

المبحث الثاني: شيء من تراث العلامة النوري وموقف علماء الامامية من هذا التراث.

المبحث الأول

حياة العلامة النوري الشخصية

وسأشير في هذا المبحث بشكل مختصر الىٰ جوانب من حياته الشخصية والاجتماعية والعلمية ضمن عدة محاور وهي كالآتي:

اسمه ولقبه: هو الشيخ الميرزا حسين بن الميرزا محمد تقي بن الميرزا علي محمد بن تقي النوري الطبرسي امام أئمة الحديث والرجال في الاعصار المتأخرة ومن اعاظم علماء الشيعة وكبار رجال الإسلام في زمنه [٣].

وقد لقب بعدة القاب منها المحدث النوري والطبرسي والمازندراني وخاتمة المحدثين[٤].

ولادته: ولد الشيخ النوري قدس سره في قرية يقال لها (يالو) وهي احدىٰ قرىٰ (نور) أحد كور (طبرستان) وهي (مازندران) في الثامن عشر من شوال ١٢٤٥ هجرية [٥].

نشأته: وأما ما يتعلق في الكلام عن نشأته فقد نشأ شيخنا النوري قدس سره يتيما، فقد توفي والده الحجة الكبير وله ثمان سنين، وقبل ان يبلغ الحلم اتصل بالفقيه الكبير المولىٰ محمد علي المحلاتي [٦]، وقد أثر اليتم فيه كثيرا فلم ينسه، وحتىٰ أواخر أيام حياته عندما كتب ترجمة لنفسه في أواخر كتابه المستدرك يقول متذكراً يتمه ذاك: "وتوفي والدي العلامة أعلىٰ الله تعالىٰ مقامه... وأنا ابن ثمان سنين، فبقيت سنين لا أحد يربيني... "[٧].

لقد كان لفقدانه الأب ويتمه وهو في مقتبل عمره أثر كبير علىٰ شخصيته

فقساوة اليتم جعلت منه شخصا عصاميا معتمدا علىٰ نفسه، وهذا ما يفسر شدة صبره وإصراره وثابرته وتحمله للمشاق .

هجراته: هاجر الىٰ طهران واتصل فيها بالعالم الجليل ابي زوجته الشيخ عبد الرحيم البروجردي فعكف علىٰ الاستفادة منه، ثم هاجر معه الىٰ العراق في (١٢٧٣) فزار استاذه ورجع وبقي هو في النجف قرب اربع سنين، ثم عاد الىٰ ايران، ثم رجع الىٰ العراق في (١٢٧٨) فلازم الآية الكبرىٰ الشيخ عبدالحسين الطهراني الشهير بشيخ العراقيين وبقي معه في كربلاء مدة وذهب معه الىٰ مشهد الكاظمين (عليهما السلام) فبقي سنتين ايضا وفي آخرهما رزق حج البيت وذلك في (١٢٨٠)، ثم رجع الىٰ النجف الاشرف وحضر بحث الشيخ المرتضىٰ الانصاري اشهرا قلائل الىٰ ان توفي الشيخ في (١٢٨١) فعاد الىٰ ايران في (١٢٨٤) وزار الإمام الرضا (عليه السلام)، ورجع الىٰ العراق ايضا في (١٢٨٦) وهي السنة التي توفي فيها شيخه الطهراني، وكان اول من اجازه ورزق حج البيت ثانيا، ورجع الىٰ النجف فبقي فيها سنين لازم خلالها درس السيد المجدد الشيرازي، ولما هاجر استاذه الىٰ سامراء في (١٢٩١) لم يخبر تلاميذه بعزمه علىٰ البقاء بها في باديء الأمر ولما اعلن ذلك خف اليه الطلاب وهاجر اليه المترجم له في (١٢٩٢) باهله وعياله وهو اول المهاجرين اليها ورزق حج البيت ثالثا ولما رجع سافر الىٰ ايران ثالثا في (١٢٩٧) وزار مشهد الرضا (عليه السلام) ورجع فسافر الىٰ الحج رابعا (١٢٩٩) ورجع فبقي في سامراء ملازما لأستاذه المجدد حتىٰ توفي في (١٣١٢) فبقي المترجم له بعده بسامراء الىٰ (١٣١٤) فعاد الىٰ النجف عازما علىٰ البقاء بها حتىٰ ادركه الاجل[٨].

وهو بذلك يعدّ نسبة الىٰ اقرانه كثير الأسفار.

علمه: اما علمه فأحسن فنه الحديث، ومعرفة الرجال، والاحاطة بالأقوال، والاطلاع بدقائق الآيات، ونكات الأخبار[٩].

حياته العلمية: لقد بدأ شيخنا مشواره الدراسي منذ نعومة أظفاره وقبل أن يبلغ حلمه وقد تتلمذ علىٰ يد عدد من الفضلاء وهم:

١. العالم الجليل المولىٰ محمد علي المحلاتي.
٢. الشيخ عبد الحسين الطهراني المعروف بشيخ العراقيين.
٣. الشيخ الأعظم مرتضىٰ الأنصاري.
٤. المجدد الميرزا محمد حسن بن الميرزا محمود الشيرازي.
٥. الشيخ عبد الرحيم البروجردي.
٦. الشيخ فتح علي السلطان آبادي.
٧. الحاج الملا علي كني.
٨. السيد مهدي القزويني.
٩. الشيخ علي الخليلي (١٠).

وأما تلامذته فأشهرهم:

١. الشيخ محمد محسن المعروف بآقا بزرك الطهراني .
٢. الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء .
٣. السيد عبد الحسين شرف الدين.
٤. الشيخ عباس القمي.
٥. الشيخ محمد جواد البلاغي.
٦. الشيخ محمد الفيض القمي.

وغيرهم كثير .

أقوال العلماء فيه: لقد قرَّظ العلماء الشيخ النوري ننقل من كلامهم:

١.الشيخ آغا بزرگ الطهراني: «شيخي العلامة خاتمة المحدثين والمجتهدين المبرّء علىٰ رغم غدوه من كل شين التقي النقي الحاج الميرزا حسين نوري الطبرسي...» (١١).

وفي موضع آخر يقول: « إمام أئمة الحديث والرجال في الأعصار المتأخرة، ومن أعاظم علماء الشيعة، وكبار رجال الإسلام في هذا القرن، وهو سندٌ من اجل الاسناد الثابتة ليوم المعاد، وكيف لا وهو خرِّيت هذه الصناعة، وإمام هذا الفن فقد سبر غور علم الحديث حتىٰ وصل الىٰ الاعماق فعرف الحابل من النابل، وماز الغث من السمين، وهو خاتمة المجتهدين فيه...»(١٢).

٢. العلامة الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء رحمه الله تعالىٰ: « علامة الفقهاء والمحدثين، جامع اخبار الائمة الطاهرين، حائز علوم الاولين والاخرين، حجة الله علىٰ اليقين، من عقمت النساء من ان تلد مثله، وتقاعست اساطين الفضلاء فلا يداني احدٌ فضله ونبله، التقي الأواه، المعجب ملائكة السماء بتقواه، من لو تجلىٰ الله لخلقه لقال هذا نوري، مولانا ثقة الاسلام الحاج ميرزا حسين النوري ادام الله تعالىٰ وجوده الشريف...»(١٣).

٣. الشيخ عباس القمي صاحب كتاب مفاتيح الجنان: «شيخنا الاجل الاعظم، وعمادنا الارفع الاقوم، صفوة المتقدمين والمتأخرين، خاتم الفقهاء والمحدثين، سحاب الفضل الهاطل، وبحر العلم الذي ليس له ساحل، مستخرج كنوز الاخبار، ومحي ما اندرس من الاثار، كنز الفضائل ونهرها الجاري، شيخنا ومولانا العلامة المحدث الثقة النوري أنار الله تعالىٰ برهانه واسكنه بحبوحة

جنانه»[١٤] .

٤. وقد عبّر عنه الامام السيد الخميني قدس سره الشريف: «المولىٰ العالم الزاهد العابد الفقيه المحدث الاميرزا حسين النوري نوّر الله مرقده الشريف» [١٥] .

والإطراءات في حقه كثيرة جدا ولا تحصىٰ ولكن نكتفي بهذا المقدار منها فقد اتضحت للقاريء مكانته عند العلماء المحققين فهو حقا نجم لامع في سماء العلم والعلماء.

وفاته: توفي الميرزا النوري في السادس والعشرين من جمادىٰ الثانية ١٣٢٠ ودفن في جوار مرقد أمير المؤمنين بالنجف.

تحدث تلميذه الأوفىٰ الحاج آقا بزرك الطهراني عن سبب وفاته ويومه قائلا:

وفي السنة الاخيرة يعني زيارة عرفة (١٣١٩) ـ وهي سنة الحج الاكبر التي اتفق فيها عيد النيروز والجمعة والاضحىٰ في يوم واحد ولكثرة ازدحام الحجيج حصل في مكة وباء عظيم هلك فيه خلق كثير ـ تشرفت بخدمة الشيخ الىٰ كربلاء ماشياً، واتفق انه عاد بعد تلك الزيارة الىٰ النجف ماشياً ايضاً ـ بعد ان اعتاد علىٰ الركوب في العودة ـ وذلك باستدعاء الميرزا محمد مهدي ابن المولىٰ محمد صالح المازندراني الاصفهاني صهر الشيخ محمد باقر بن محمد تقي محشىٰ (المعالم)، وذلك لأنه كان نذر ان يزور النجف ماشياً ولما اتفقت له ملاقاة شيخنا في كربلاء طلب منه ان يصحبه في العودة ففعل ؛ وفي تلك السفرة بدا به المرض الذي كانت فيه وفاته يوم خروجه من النجف وذلك علىٰ اثر اكل الطعام الذي حمله بعض اصحابه في اناء مغطىٰ الرأس حبس فيه الزاد بحرارته فلم ير الهواء وكل من ذاق ذلك الطعام ابتلىٰ بالقيء والاسهال، وكانت عدة اصحاب الشيخ قرب الثلاثين ولم

يبتل بذلك بعضهم لعدم الأكل ـ وانا كنت من جملتهم ـ، وقد ابتلىٰ منهم بالمرض قرب العشرين وبعضهم أشد من بعض وذلك لاختلافهم في مقدار الاكل من ذلك، ونجا اكثرهم بالقيء إلا شيخنا فانه لما عرضت له حالة الاستفراغ امسك شديداً حفظاً لبقية الاصحاب عن الوحشة والاضطراب. فبقاء ذلك الطعام في جوفه اثر عليه كما اخبرني به بعد يومين من ورودنا كربلاء قال: اني احسّ بجوفي قطعة حجر لا تتحرك عن مكانها. وفي عودتنا الىٰ النجف عرض له القي في الطريق لكنه لم يجده ؛ وابتلىٰ بالحمىٰ وكان يشتد مرضه يوماً فيوماً الىٰ ان توفي في ليلة الاربعاء لثلاث بقين من جمادي الثانية (١٣٢٠) ودفن بوصية منه بين العترة والكتاب يعني في الايوان الثالث عن يمين الداخل الىٰ الصحن الشريف من باب القبلة [١٦] .

وبهذا نكون أتممنا الكلام في هذا المبحث المخصص عن حياة الشيخ النوري وسيكون الكلام عن مكانة مؤلفاته عند علماء الامامية في المبحث الآتي.

المبحث الثاني
شيء من تراث العلامة النوري
وموقف علماء الامامية من هذا التراث

وفي هذا المبحث سأتحدث عن محورين رأسيين:

المحور الأول: ذكر شيء من تراثه:

خير ما نبتديء به الكلام عن ذكر مؤلفاته هو ما قاله تلميذه الشيخ عباس القمي بحق تلكم المؤلفات إذ يقول: « وكم له رحمه الله من الله تعالىٰ الطاف خفية، ومواهب غيبية، ونعم جليلة، اعظمها انه قدس سره مع كثرة اسفاره الف تأليفات كثيرة رائقة، وتصنيفات جليلة فائقة تبلغ عددها ما يقرب من ثلاثين تخبر كل واحد عن طول باعه وكثرة اطلاعه...» (١٧).

١. الاربعونيات: يقول الطهراني: " مقالة مختصرة لشيخنا العلامة النوري كتبها علىٰ هامش نسخة الكلمة الطيبة المطبوعة جمع فيها أربعين أمراً من الامور التي اُضيف اليها عدد الاربعين في أخبار الأئمة الطاهرين عليهم السلام " (١٨).

٢. البدر المشعشع في ذرية موسىٰ المبرقع: وذكر فيه ترجمة السيد الشريف ابي جعفر موسىٰ المبرقع إبن الامام ابي جعفر محمد الجواد التقي عليه السلام وشرح احواله وهجرته من الكوفة، وورود الىٰ قم المقدسة سنة ٢٥٦ إلىٰ أن توفي بها سنة ٢٩٦، وذكر ذرياته وأحفاده، فرغ منه في ربيع الأول سنة ١٣٠٨(١٩).

٣. تحية الزائر: وقد أَلَّفه استدراكـًا لما تركه العلامة المجلسي في تحفة الزائر من الزيارات المخصوصة أو غيرها لعدم الاعتماد علىٰ سندها، فاخرج الشيخ

النوري أسانيد لها وأثبت وجه الاعتماد عليها واستدرك أيضاً ما فاته من آداب الزيارة ونكات أُخر[٢٠].

٤. جنة المأوىٰ في مَنْ فاز بلقاء الحجة عليه السلام في الغيبة الكبرىٰ: جمع فيه من لم يذكره العلامة المجلسي أو من كان بعده، أورد فيه تسعاً وخمسين حكاية، وفرغ منه في ١٣٠٢ هـ[٢١] طُبع عدة طبعات آخرها مع البحار الجزء ٥٣ الطبعة الحديثة.

٥. فصل الخطاب في مسألة تحريف الكتاب: فرغ منه في النجف في ٢٨ جمادىٰ الثانية ١٢٩٢، وطبع في ١٢٩٨. وبعد نشره وقع فيه اختلاف شديد، بين ناقد ومؤيد.

وكان سبب اختلاف الآراء حول الكتاب هو في مسألة إمكان تحريف الكتاب الشريف أو وقوعه.

يصّر الناقدون علىٰ ان الشيخ النوري قدس سره ذكر في كتابه هذا ان الكتاب الشريف قد وقع فيه التحريف.

يقول الشيخ حرز الدين قدس سره عند عدّ مؤلفات الشيخ النوري قدس سره: " وكتاب (فصل الخطاب في تحريف كتاب رب الأرباب). و ياليته لم يكتبه، اذ به طالت ألسنة اليهود والملحدين ولقد أراد شيئاً فوقع فيما هو أعظم منه..."[٢٢].

وأوضح تعبير يوضح خطأ الشيخ النوري في تأليفه هذا الكتاب ما كتبه الشيخ الصافي بقوله: " لم نرَ في علماء الامامية ومشايخهم من يعتني بكتاب فصل الخطاب، ويستند إليه، وليس بينهم من يعظم المحدث النوري لهذا التأليف، ولو

لم يصنف هذا الكتاب لكان تقدير العلماء عن جهوده في تأليفه غيره من المآثر الرائعة كالمستدرك وكشف الاستار وغيرهما أزيد من ذلك بكثير، ولنال من التقدير والاكبار اكثر ما حازه من العلماء واهل الفضل... وليست جلالة قدر الرجل في العلم والتتبع والاحاطة بالحديث مما يقبل الانكار، وإن خطأه بسبب تأليف هذا الكتاب، وصيّر هدفًا لسهام التوبيخ والاعتراض، فنبذ كتابه هذا وقوبل بالطعن والانكار الشديد بل صنف بعضهم في ردّه، وفي إثبات عدم التحريف كتبًا مفردة... الخ "[٢٣].

وقد الف رسالة في ردّ بعض الشبهات علىٰ فصل الخطاب وهي رد علىٰ رسالة (كشف الارتياب عن تحريف الكتاب) للشيخ محمود الطهراني، واورد فيها بعض الردود وبعثها الىٰ المجدد الشيرازي، فأعطاها للشيخ النوري، وقد اجاب عنها بهذه الرسالة وهي باللغة الفارسية [٢٤].

وكان يوصي كل مَنْ عنده فصل الخطاب ان يضمّ اليه هذه الرسالة التي هي في دفع الشبهات التي اوردها الشيخ محمود عليه[٢٥]، وقد كتب الشيخ أغا بزرگ الطهراني في تأييد النوري (النقد اللطيف في نفي التحريف)[٢٦] .

٦. مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل: قال الطهراني: « وأهم آثاره المطبوعة وغير المطبوعة واعظمها شأنًا، واجلها قدراً هو (مستدرك الوسائل) استدرك فيه علىٰ كتاب (وسائل الشيعة) الذي الّفه المحدث الشيخ محمد الحر العاملي المتوفي في (١١٠٤) والذي هو احد المجاميع الثلاثة المتأخرة. وهذا الكتاب في ثلاث مجلدات كبار بقدر الوسائل اشتمل علىٰ زهاء ثلاثة وعشرين الف حديث جمعها من مواضع متفرقة ومن كتب معتمدة مشتتة مرتبًا لها علىٰ ترتيب

الوسائل ؛ وقد ذيلها بخاتمة ذات فوائد جليلة لا توجد في كتب الاصحاب وجعل لها فهرساً تاماً للأبواب نظير فهرس الوسائل الذي سماه الحر بـ (من لا يحضره الامام)...»[٢٧].

وله مؤلفات كثيرة نقتصر الكلام علىٰ ما أوردناه.

المحور الثاني: موقف علماء الإمامية من هذا التراث:

واما فيما يتعلق في تراث المحدث النوري انقسم علماء الإمامية الىٰ ثلاثة اتجاهات :

الاتجاه الأول: نستطيع أن نعبر عنه الموقف المتطرف، وهو الذي يمثل أقصىٰ اليسار فيما يتعلق بتراث المحدث النوري، وقد رفض أتباع هذا الاتجاه مؤلفات المحدث النوري جملة وتفصيلا، فلم يقبلوا المستدرك ولا خاتمة المستدرك ولا كل مؤلفاته، وهنا نشير الىٰ بعض كلماتهم:

١. السيد روح الله الخميني: ولعل أوضح من يمثل هذا الاتجاه بكلماته هو السيد الخميني قدس سره وقد ذكرت رأيه أولا وليس حسيب الترتيب الزمني لإن رأيه أوضح الآراء فيما يتعلق في تراث العلامة النوري إذ يقول في تعليقته علىٰ الكفاية: «وأزيدك وضوحا: أنه لو كان الأمر كما توهّم صاحب فصل الخطاب الذي كان كل كتَبَهُ لا يفيد علماً ولا عملاً، وإنّما هو إيراد روايات ضعاف أعرض عنها الأصحاب وتنزّه عنها أولوا الألباب من قدماء أصحابنا كالمحمّدين الثلاثة المتقدمين رحمهم الله هذا حال كتب روايته غالبا كالمستدرك، ولا تسأل عن سائر كتبه المشحونة بالقصص والحكايات الغريبة التي غالبها بالهزل أشبه منه بالجد،

وهو رحمه الله شخص صالح متتبع، إلاّ أنّ اشتياقَه لجمع الضعاف والغرائب والعجائب وما لا يقبلها العقل السليم والرأي المستقيم، أكثرُ من الكلام النافع، والعجب من معاصريه من أهل اليقظة ! كيف ذهلوا وغفلوا حتّىٰ وقع ما وقع ممّا بكت عليه السماوات، وكادت تتدكدك علىٰ الأرض ؟!» (٢٨).

كل كتبه أو فقط فصل الخطاب ؟ ياللعجب من هذا الكلام للسيد الإمام! فمن ينظر الىٰ المستدرك يجده قد اشتمل علىٰ " زهاء ثلاثة وعشرين الف حديث جمعها من مواضع متفرقة ومن كتب معتمدة مشتتة وقد ذيلها بخاتمة ذات فوائد جليلة لا توجد في كتب الاصحاب " (٢٩)، ففيه من مشتتات الكتب الحديثية وقد استند عليه العلماء في الفقه والاخلاق والزيارات وغيرها في حين يصفها السيد الخميني بأنها (لا تفيد علما ولا عملا) .

٢. العلامة الحجة البلاغي: قال العلامة البلاغي تشنيعـًا علىٰ العلامة النوري: « وإنّ صاحب فصل الخطاب من المحدّثين المكثرين المجدّين في التتبّع للشواذّ وإنّه ليعدّ هذا المنقول من «دبستان المذاهب» ضالّته المنشودة » (٣٠).

إذن يرىٰ العلامة الحجة البلاغي أن كل مؤلفات العلامة النوري هي من الشواذ أو لا أقل أكثرها !!

٣. الشيخ جعفر السبحاني: يقول الشيخ السبحاني في حق العلامة النوري ومصنفاته « كان محدّثنا النوري مولَعـًا بجمع الأخبار وتتبّع الآثار، وله في ذلك مواقف مشهودة، ومصنّفاته في هذا الشأن معروفة. غير أنّ شغفه بذلك، ربّما حاد به عن منهج الإتقان في النقل والتحديث، ممّا أوجب سلبَ الثقة به أحيانـًا و في بعض ما يرويه. ولا سيّما عند أهل التحقيق وأرباب النظر من فقهائنا الأعلام والعلماء

العظام»[٣١].

هذا هو الاتجاه الأول والذي قلنا أنه يمثل أقصىٰ الشمال إذ أنه رفض تراث المحدث النوري جملة وتفصيلا .

الاتجاه الثاني: وهذا الاتجاه عكس الاتجاه الأول إذ أنه يمثل أقصىٰ اليمين فيما يتعلق بتراث المحدث النوري فهو يرىٰ أن مؤلفات العلامة النوري مما لا غنىٰ عنها للفقيه مطلقا، ولا يمكنه أن يستنبط الحكم الشرعي الا بالرجوع الىٰ مؤلفات العلامة النوري فهو صاحب التأليفات الجمة القيمة، والذي كان قد دأب علىٰ الجمع، والتأليف، والتبويب، والتصنيف، والتحقيق، وقد مثل هذا الاتجاه عدد من العلماء نذكر بعض منهم:

١. المولىٰ محمد كاظم الخراساني صاحب كتاب (كفاية الأصول) المتوفىٰ (١٣٢٩ه): ينقل عنه الحاج آغا بزرك الطهراني قوله: « فقد سمعت شيخنا المولىٰ محمد كاظم الخراساني صاحب (الكفاية) يلقي ما ذكرناه علىٰ تلامذته الحاضرين تحت منبره البالغين الىٰ خمسمائة أو أكثر بين مجتهد أو قريب من الاجتهاد بان الحجة للمجتهد في عصرنا هذا لا تتم قبل الرجوع الىٰ (المستدرك) والاطلاع علىٰ ما فيه من الأحاديث »[٣٢] .

٢. فتح الله بن محمد جواد المشهور بشيخ الشريعة الاصفهاني المتوفىٰ (١٣٣٩هـ): فقد نقل عنه الطهراني أيضا قوله «واما شيخنا الحجة شيخ الشريعة الاصفهاني فكان من الغالين في المستدرك ومؤلفه، سألته ذات يوم ـ وكنا نحضر بحثه في الرجال عن مصدره في المحاضرات التي كان يلقيها علينا ؛ فأجاب: كلنا عيال علىٰ النوري، يشير بذلك الىٰ المستدرك»[٣٣].

٣. السيد حسن الصدر صاحب كتاب « نهاية الدراية في شرح الوجيزة) المتوفىٰ سنة (١٣٥٤ه): وعند الكلام عن الشيخ النوري ومستدركه قال: « وسماه خاتمة مستدرك الوسائل، فكان أعظم مصنّف في المذهب »[٣٤] .

٤. الشيخ عباس القمي صاحب كتاب (مفاتيح الجنان) المتوفىٰ سنة (١٣٥٩ه): يقول هذا الشيخ الجليل بحق علامتنا النوري: « اما علمه فأحسن فنه الحديث، ومعرفة الرجال، والاحاطة بالأقوال، والاطلاع بدقائق الآيات، ونكات الأخبار بحيث تتحير العقول عن كيفية استخراجه جواهر الأخبار عن كنوزها..»[٣٥].

٥. أُقا بزركَ الطهراني صاحب كتاب (الذريعة الىٰ تصانيف الشيعة) المتوفىٰ (١٣٨٩ه): يقول تلميذه الأوفىٰ الطهراني: «ترك شيخنا آثارا هامة قلما رأت عين الزمن نظيرها في حسن النظم وجودة التأليف وكفىٰ بها كرامة له » ويقول: «لو تأمل انسان ما خلفه النوري من الاسفار الجليلة، والمؤلفات الخطيرة التي تموج بمياه التحقيق والتدقيق وتوقف علىٰ سعة في الاطلاع عجيبة، لم يشك في انه مؤيد بروح القدس لان اكثر هذه الآثار مما افرغه في قالب التأليف بسامراء»[٣٦] .

٦. رسول كاظم عبد السادة مؤلف كتاب (شعراء الغدير) الذي ألفه استدراكا علىٰ كتاب (الغدير في القرآن والسنة والأدب) لمؤلفه الشيخ عبد الحسين بن أحمد المشهور بـ(العلامة الأميني): يقول في كتاب شعراء الغدير وعندما بلغ به المقام الىٰ العلامة الحر العاملي صاحب كتب (وسائل الشيعة الىٰ مستنبط مسائل الشريعة): « شيخنا الحر العاملي وأشهرهم في تلكم الفضائل كلها شيخنا المترجم له الذي لا تنسىٰ مآثره، ولا يأتي الزمان علىٰ حلقات فضله الكثار، فلا تزال متواصلة

العرىٰ ما دام لأياديه المشكورة عند الأمة جمعاء أثر خالد، وإن من أعظمها كتاب وسائل الشيعة في مجلداتها الضخمة التي تدور عليها رحىٰ الشريعة، وهو المصدر الفذ لفتاوي علماء الطائفة، وإذا ضم إليه مستدركه الضخم الفخم لشيخنا الحجة النوري المناهز لأصله كما وكيفا فمرج البحرين يلتقيان، وكان غير واحد من المحققين لا يصدر الفتيا إلا بعد مراجعة الكتابين معا»[٣٧] .

إذن هذا هو الاتجاه الثاني وهؤلاء هم أبطاله وأهم من يمثلونه وانت ترىٰ بعد المسافة بين الاتجاهين فأحدهما يعتبر أن جميع مؤلفاته (لا تفيد علما ولا عملا) وبمقابله يأتي الاتجاه الآخر الذي يرىٰ (أن الحجة للفقيه لا تتم إلا بالرجوع الىٰ مؤلفاته).

ومن حقنا هنا أن نعرف الموقف ازاء تلكما الاتجاهين ولكي نميز الموقف الصحيح من قبول أو رد مؤلفات العامة النوري نضيف اتجاه ثالث الىٰ الاتجاهين السابقين .

الاتجاه الثالث: وهذا الاتجاه هو الاتجاه المختار عندنا و خلاصة هذا الاتجاه هو إننا لا نقبل بالاتجاه الأول الذي رد جميع مؤلفاته، كما أننا نرفض الاتجاه الثاني تماما، فلا افراط ولا تفريط، وإنما نقول بالوسطية تجاه ما كتبه هذا المصنف الفذ وتقرير هذا الاتجاه هو:

إننا نعتقد أن الكتب الحديثية علىٰ ثلاث مراتب ودرجات :

المرتبة الأولىٰ: وفي هذه المرتبة تأتي الكتب الأربعة المعتمدة عند الشيعة وهي (الكافي للشيخ الكليني، من لا يحضره الفقيه للشيخ الصدوق، وتهذيب الاحكام والاستبصار للشيخ الطوسي) .

والسبب الذي جعلنا أن نضع هذه الكتب بالدرجة الأولىٰ هو أن مؤلفي هذه الأصول لم يجمعوا في كتبهم الأحاديث الذين يعتقدون أنها ضعيفة أو موضوعة بل أحاديث هم يعتقدون صحتها فالشيخ الكليني كان سبب تأليفه الكتاب بطلب أحد المؤمنين يقول في مقدمة كتابه: « ..... وقلت: إنك تحب أن يكون عندك كتاب كاف يجمع فيه من جميع فنون علم الدين، ما يكتفي به المتعلم، ويرجع إليه المسترشد، ويأخذ منه من يريد علم الدين والعمل به بالآثار الصحيحة عن الصادقين عليهم السلام والسنن القائمة التي عليها العمل، وبها يؤدي فرض الله عزوجل وسنة نبيه صلىٰ الله عليه وآله»[٣٨]، وقد أجابه الكليني ايٰ طلبه فيقول: « وقد يسر الله – وله الحمد – تأليف ما سألت، وأرجو أن يكون بحيث توخيت فمهما كان فيه من تقصير فلم تقصر نيتنا في إهداء النصيحة، إذ كانت واجبة لاخواننا وأهل ملتنا..»[٣٩]، فمن هذا النص ندرك أن مراد الكليني هو جمع لحديث الصحيح بغض النظر هل التزم بهذا أم لا وهل كل الكافي صحيح أم لا فهذا يبحث في محله.

وكذلك الشيخ الصدوق يقول في مقدمة سفره الجليل: «صنفت هذا الكتاب بحذف الاسانيد لئلا تكثر طرقه وإن كثرت فوائده، ولم أقصد فيه قصد المصنفين في إيراد جميع ما رووه، بل قصدت إلىٰ إيراد ما افتي به وأحكم بصحته وأعتقد فيه أنه حجة فيما بيني وبين ربي – تقدس ذكره وتعالت قدرته – وجميع ما فيه مستخرج من كتب مشهورة، عليها المعول وإليها المرجع»[٤٠] .

فنص الشيخ الصدوق ومن قبله نص الشيخ الكليني يكشفان عن سبب تأليف كتابيهما وهو جمع الأحاديث الصحيحة علىٰ رأيهم .

المرتبة الثانية: وفيها مصنفات تعد من المرتبة الثانية ورواياتها تعد روايات

من الدرجة الثانية وهي (بحار الأنوار للعلامة المجلسي، وسائل الشيعة للحر العاملي، والوافي للفيض الكاشاني) .

ولك الحق أن تقول ولم وضعت هذه في المرتبة الثانية بعد الكتب الأربعة ؟ فأقول إن مصنفي هذه الكتب جمعوا فيها الصحيح وغير الصحيح فلم يكن هدفهم هو جمع الحديث الصحيح ففي ما يخص بحار الأنوار يقول العلامة الشعراني بكلمة كتبها في مقدمة الجزء الثالث والخمسون من البحار: «وكان مؤلفها أعلىٰ الله مقامه وفق للعثور علىٰ كنوز علم لا يتفق لكل أحد فقد اجتمع عنده من كتب أصحابنا الأوائل والنسخ النادرة الوجود ما لا يحصل في كل زمان وكل بلد فاغتنم الفرصة وجمعها في كتاب لئلا تتفرق وتضيع ولو كان غرضه الاكتفاء بنقل السمين وترك الغث لفعل لكن لم يفعل لأغراض ولعل منها قصر الوقت وضيق الفرصة أو فتح باب الاجتهاد ودفع توهم من يظن أن المحدثين يتركون ما يخالف غرضهم ويباين مذهبهم عمدا حسما لاحتجاج الخصم به كما ترك بعضهم من غيرنا نقل حـديث الغدير فجمع رحمه الله كل شيء وجـده وترك البحث فيها لمن بعده»(٤١).

وأما صاحب الوسائل فكاتبه فقهي وليس حديثي فالحر العاملي في الحقيقة فقيه وقد ضمّمن الحديث فتاواه الفقهية فكثرت مشكلاته من تقطيع الأحاديث وغيرها وقد ذكر هذا العلامة البروجردي إذ يقول « أخرج فيه _ الوسائل_ الأحاديث المربوطة بالفروع الفقهية والآداب الشرعية وعقد لكل حكم زعم دلالة خبر أو أخبار عليه بابا مستقلا وأورد فيه ما ظنّ دلالته عليه من الأحاديث » (٤٢). وكان كثيرا ما يقول: « وكان قدس سره كثيرا ما يقول إن صاحب الوسائل رحمه الله قدا تعب نفسه في تأليف هذا الكتاب وبذلك جهده وعمره في جمع أحاديثه وتبويبه

وترتيبه وجاء بأحسن ما صنف في هذا الفن وله علينا حق عظيم شكر الله تعالىٰ مساعيه وأرضاه الا انه يحتاج إلىٰ تنقيح وتهذيب وتكميل فان كتابه أشبه بكتاب الفقه من الحديث وأراد أن يجمع ما دل من الاخبار بزعمه علىٰ حكم فرع من الفروع الفقهية ولم يكن قاصدا علىٰ أن يأتي بها بنظام تام ولدا قد فرق بين ما ينبغي ان يجمع وجمع بين ما ينبغي ان يفرق وكثيرا ما أورد الأحاديث في غير بابها ووضعها في غير مواضعها»(٤٣).

فهذا النص من البروجردي يكشف بوضوح عن كثرة المشاكل التي في كتاب الوسائل وهذه المشاكل هي التي اضطرت البروجردي الىٰ تأليف جامع أحاديث الشيعة وجمع الفضلاء علىٰ تأليفه بإشراف منه قدست روحه .

المرتبة الثالثة: وهي من قبيل روايات المستدرك فأحاديث المستدرك في الحقيقة تأتي في الدرجة الثالثة بعد المجموعتين المتقدمتين.

ويؤيد هذا الترتيب قول السيد حسن الصدر في درايته: « والأصول الأربعة الأولىٰ هي التي عليها المدار في هذه الاعصار، كالشمس وضحاها، والثلاثة الأخيرة بعدها كالقمر إذا تلاها »(٤٤) وهذا يدل علىٰ أن الكتب لأربعة مقدمة علىٰ المجاميع الثلاثة المتأخرة . ومن حق سائل أن يسأل عن ثمرة هذا الترتيب؟

وأما اجابة هذا السؤال فواضحة جدا وهي ان الثمرة الأساس يكون عند التعارض فعندما يتعارض حدين من الكتب الأربعة التي في المرتبة الأولىٰ مع حديث في كتب المرتبة الثانية يقدم حديث المجموعة الأولىٰ وكذا اذا حصل التعارض بين المجموعة الثانية والثالثة يقدم الحديث الموجود في كتاب المرتبة الثانية(٤٥) .

الخاتمة والنتائج

بعد هذه الدراسة حول تراث الشيخ النوري واستعراض آراء علماء الإمامية في هذا المجال توصل الباحث الىٰ نتيجة بنتائج وهي :

١. إن العلامة النوري رحمه الله تعالىٰ من علماء الطائفة الأجلاء وقد أطراه كل من جاء بعده نعم حصل لغط كبير حول كتابه (فصل الخطاب) ولكن هذا لا يعني عدم احترامه وتقديسه بل هو العالم الفاضل الزاهد النحرير

٢. ليس كل مؤلفات النوري لا تفيد علما ولا عملاً كما أنها ليس كلها مما هو صحيح يؤخذ به بل الأمر متروك الىٰ القواعد التي يميز بيها الغث من السمين نعم كتاب (فصل الخطاب) لا يفيد علما ولا عملا أما سائر مؤلفاته فإنها تخضع للنقد فما انسجم مع القواعد الثابتة كموافقة الكتاب والسنة القطعية والعقل وإجماع الفرقة فهو مقبول وما خالفها فهو مردود وأما كتبه الرجالية فهي آراء اجتهادية شأنه في ذلك شأن سائر المجتهدين من شاء يأخذ بها ومن لم يشأ يتركها.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العاملين والصلاة والسلام علىٰ خير الأنام محمد واله الطيبين الطاهرين .

* هوامش البحث *

(١) طبقات اعلام الشيعة :١٤/ ٥٥٠

(٢) السابق

(٣) خاتمة المستدرك: ٣/ ٨٧٧

(٤) النجم الثاقب :٢٦

(٥) معارف الرجال :١/ ٢٧١

(٦) نقباء البشر: ٢/ ٥٤٤

(٧) خاتمة مستدرك الوسائل: ٣/ ٨٧٧

(٨) ينظر: خاتمة المستدرك :٣/ ٨٧٧ و نقباء البشر: ٢/ ٥٤٤ و الفوائد الرضوية: ١٤٩

(٩) الفوائد الرضوية: ١٥٢

(١٠) خاتمة المستدرك: ٣ / ٨٧٩

(١١) ضياء الدراية: ١٠٢

(١٢) نقباء البشر: ٢/ ٥٥٥

(١٣) كشف الاستار :٢٤٥

(١٤) الفوائد الرضوية: ١٤٩

(١٥) الأربعون: ٣٥

(١٦) نقباء البشر: ٢/ ٥٥٧

(١٧) الفوائد الرضوية: ١٥٠ وما بعدها

(١٨) الذريعة الىٰ تصانيف الشيعة: ١/ ٤٣٦

(١٩) الذريعة الىٰ تصانيف الشيعة: ٣/ ٦٨

(٢٠) السابق: ٣/ ٤٨٨

(٢١) نقباء البشر: ٢/ ٥٥٢

(٢٢) معارف الرجال: ١/ ٢٧٢

(٢٣) مع الخطيب في خطوطه العريضة: ٥٤

(٢٤) نقباء البشر: ٢/ ٥٥٠

(٢٥) الذريعة: ١٠ / ٢٢٠

(٢٦) السابق: ١١/ ١٨٨

(٢٧) الذريعة: ٢/ ١١٠

(٢٨) أنوار الهداية في التعليقة علىٰ الكفاية:

(٢٩) مقدمة كتاب النجم الثاقب: ٧

(٣٠) آلاء الرحمن:١/ ٢٥

(٣١) المناهج التفسيرية في علوم القرآن/ ١٢

(٣٢) مقدمة النجم الثاقب في احوال الإمام الحجة الغائب: ١٣

(٣٣) السابق

(٣٤) نهاية الدراية: ٥٩٧

(٣٥) الفوائد الرضوية: ١٥٢

(٣٦) مقدمة مستدرك الوسائل:١/ ٤٨

(٣٧) شعراء الغدير: ٣/ ٤١

(٣٨) الكافي: ١/ ٨

(٣٩) السابق

(٤٠) من لا يحضره الفقيه: ١/ ٣

(٤١) بحار الأنوار :٥٣/ ٧

(٤٢) جامع أحاديث الشيعة: ١/ ١٦

(٤٣) جامع أحاديث الشيعة: ١/ ١٧

(٤٤) نهاية الدراية: ٥٣٥

(٤٥) محاضرة صوتية للسيد كمال الحيدري: https://youtu.be/XTNj3r0KM8o

* المصادر والمراجع *

١. آلاء الرحمن في تفسير القرآن، البلاغي، محمد جواد النجفي، ت١٣٥٢هـ، دار احياء التراث العربي – بيروت، ط١.

٢. أنوار الهداية في التعليقة علىٰ الكفاية، الخميني، روح الله، ت١٤١٠هـ، تحقيق ك مؤسسة تنظيم ونشر آثار الإمام الخميني، ط١، ١٤١٣ه.

٣. بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، المجلسي، محمد باقر، ت١١١١هـ، مؤسسة الوفاء – بيروت ط٢، ١٩٨٣.

٤. جامع احاديث الشيعة، البروجردي، حسين الطباطبائي، ت١٣٨٠هـ، دار الأولياء – بيروت، ط١.

٥. الذريعة الىٰ تصانيف الشيعة، آغا بزرك الطهراني، محمد محسن، ت ١٣٨٩هـ، دار الأضواء – بيروت، ط١.

٦. طبقات اعلام الشيعة، آغا بزرك الطهراني، محمد محسن، ت ١٣٨٩هـ، دار المرتضىٰ للنشر – مشهد، ط٢، ١٤٠٤ه.

٧. الفوائد الرضوية في أحوال علماء مذهب الجعفرية، القمي، عباس بن محمد، ت١٣٥٩هـ، تحقيق: باقر بيد هندي .

٨. الكافي، الكليني، محمد بن يعقوب، ت٣٢٨هـ، تحقيق علي اكبر غفاري، مركز بحوث دار الحدث – بيروت، ط١ .

٩. كشف الاستار عن وجه الغائب عن الأنظار، النوري، ميرزا حسين، ت١٣٢٠هـ، تحقيق: أحمد علي مجيد الحلي، مكتبة العتبة العباسية المقدسة، ط١.

١٠. مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل، النوري، ميرزا حسين، ت١٣٢٠هـ، تحقيق مؤسسة أهل البيت لإحياء التراث – بيروت، ط١، ١٤٠٨ه.

١١. مع الخطيب في خطوطه العريضة، لطف الله الصافي، دار الزهراء للطباعة والنشر، ط٤.

١٢. معارف الرجال في تراجم العلماء والأدباء، محمد حرز الدين، ت١٩٤٦م، منشورات آية الله العظمىٰ المرعشي النجفي – قم المقدسة، ط٣.

١٣. من لا يحضره الفقيه، الصدوق، محمد بن علي، ت ٣٨١هـ، دار المرتضىٰ – بيروت، ط١ .

١٤. المناهج التفسيرية في علوم القرآن، السبحاني، جعفر، مؤسسة الإمام الصادق – قم المقدسة.
١٥. النجم الثاقب في أحوال الإمام الغائب، النوري، ميرزا حسين، ت١٣٢٠هـ، تحقيق: السيّد ياسين الموسوي، مركز الأبحاث العقائدية – قم.
١٦. نهاية الدراية، الصدر، حسن، ت ١٣٥٤ه ـ تحقيق ماجد الغرباوي، مطبعة اعتماد – قم .